القسم الاول

# فولكلور أربيل أو تراثها الشعبي

كتبه : محمد عبد الغفور ○ راجعه وقدم له : زبير بلال اسماعيل

المقدمة :

الفولكلور او التراث الشعبي (او المأثورات الشعبية) بمعناه الواسع يضم كافة عناصر النتاج الشعبي من الثقافة المادية والمعنوية وملامح الحياة الشعبية لقوم معين خلال فترة زمنية معينة ، وفي حدود جغرافية معينة . ويؤدي هذا الى التشابه والتماثل في طرق التعبير كصفة مميزة . وبعبارة اخرى فان هذا التراث يعنى بالاوضاع الشعبية وبحياة الشعب وانماط حياته ، وما آل منها الى التطور والتبدل ، وكل ماله صلة بحياة الناس ومأخوذ من بيئتهم ، ومما يفكرون به ويمارسونه في حياتهم اليومية .

اذن فالفلكلور : هو دراسة حياة الانسان وما يتصل به كفرد وجماعة من علوم وفنون وآداب وعادات واوهام ، فهو حضارة الجماعة البشرية في اقليم معين ، وتاريخ هذه الجماعة في اخص خصائصها البشرية .

ويضم التراث الشعبي او الفولكلور : الاشعار الشعبية والقصص والاساطير ونصوص الاغاني والخرافات والامثال والحزورات ، والموسيقى والرقص الشعبيين ، ويتضمن ذلك كل انواع الموسيقى والغناء الشعبي فضلاً عن الالعاب ذات الطابع الاجتماعي .

ويضم التراث الشعبي ايضاً : المسرحيات الشعبية والاحتفالات ومراسيم الافراح (الموالد ، حفلات الزواج والختان) . . والاحزان (شعائر الوفاة والمآتم) . . والعادات المتعلقة بالحمل والولادة والخرافات الخاصة بالحظ والسحر ، والاحلام وتفسيرها ، وآداب الضيافة والسلوك والمأكل والازياء والحلي والصناعات والحرف والابنية الشعبية وفن الزخرفة والاسلحة والحاجيات المنزلية .

ان الظروف الاجتماعية المتغيرة والدقة العلمية تفرض جمع التراث لانه بخلاف ذلك يتأثر بالتغييرات الجديدة ويفقد الاصالة التاريخية ، فالتراث عرضة للتبدل والتغير والاندثار . فالتباطؤ في جمع التراث يعني ضياع جزء منه ، اي جزء من التاريخ . ويرتبط عامة الناس ارتباطاً عاطفياً بالتراث القريب ، وحينما يعاصرون اندثاره بعد ان يتغلب عليه انماط جديدة يشعرون بالاسف والأسى . ان المأثورات الشعبية (الفولكلور) مصدر هام للبحث في عادات وتقاليد الشعوب ونواة للدراسات الاجتماعية والاقتصادية .

ان الفولكلور لا يمكن ان يستعيد مركزه القديم في حياة الناس ، لانه نتاج ظروف حضارية وتاريخية معينة ، ولا يمكن الاحتفاظ بمقوماته في ظروف حضارية متباينة . ان جمع التراث لا يعني استعادة دوره الاجتماعي ، انما تكمن اهميته في جمعه كمادة تاريخية تمثل واقعاً معيناً في ظروف معينة . ان عدم امكانية

استرجاع او استعادة دوره الاجتماعي لا يعني وجوب اندثاره او قطع الصلة به او التقليل من شأنه . ان جمع التراث هو انقاذ سريع لجزء من التاريخ المعرض للتغيير والاندثار ، لأن التقدم الحضاري الجارف سوف يقضي على معظم المأثورات الشعبية وابداعات الانسان الشعبي . ومع توسع مفهوم المواد الفولكلورية المادية والروحية ، اتسع مفهوم التجميع الميداني للعناصر الفولكلورية . ان التصنيف الاولي للمادة الفولكلورية يطرح نوعاً من المقارنة والتنسيق . وبمعنى آخر ان التجميع ليس مجرد تعدا وملاحظة وبذلك يكون واجب الفولكلوري في البحث معقداً ، اذ يجب عليه التعرف عن كثب على عادات اهل المنطقة وطرق معيشتهم واسلوب حياتهم . ان جمع المادة هو الخطوة الاولى الاساسية في هذا العلم ، وبعد هذا الجمع مادة خام تستوجب التدقيق والتوثيق والتنسيق ، ثم تخضع للدراسة القادرة على الاستنتاج والتصميم .

ان ما يطرحه المقال (كخطوة اولية) من اوضاع اجتماعية ظلت سائدة في اربيل حتى الى عهد قريب . وان عدداً من سكانها مازالوا يتمسكون بها حتى الوقت الحاضر ، على انه لن يمضي وقت طويل حتى يطوي النسيان هذا الجانب الممتع من التر ـ .

ان جمع المادة التراثية لاربيل وغيرها من المدن في المنطقة الكردية ودراستها يتطلب جهوداً اكبر وتغطية اوسع شمولاً وتعمقاً ، ويفرض هذا الالتفات الجاد الى هذا الجانب من قبل المعنيين من المثقفين ، قبل ان يجرفه تيار الحضارة الحديثة .

في الواقع ان العناية بالتراث الشعبي ودراسته تنهض بمرحلتين :

الاولى : التجميع . والثانية : البحث . ان دور الهواة الفولكلوريين لا ينكر في الجمع والحصول على معلومات تتعلق بالمادة التراثية سواء اكانت تلك المادة شفاهية او مقتنيات او نصوصا غنائية او موسيقية ، او ما يتعلق منها بالصناعات الحرفية وغيرها . لقد جمع هذا البحث جملة اشياء كانت تتصل بحياة الناس في اربيل قبل حوالي اربعين عاماً ، واظهر ملامح حياتهم الشعبية واوضاعهم الاجتماعية . وكل ذلك تعبير عن المشاعر والقيم الجمالية والاجتماعية لجماعة من الناس وانعكاس لاوضاعهم ونفسياتهم .

**المقال او البحث :**

اربيل مدينة عريقة في القدم : ظهرت فيها السكنى منذ اقدم العصور بشكل قرى زراعية في حدود الالف السادس قبل الميلاد . ومرت المدينة بادوار تاريخية متعاقبة وظلت قائمة ومحتفظة باسمها القديم الى يومنا هذا ، وحكمتها عبر تاريخها الموغل في القدم امم مختلفة ذات اهداف متباينة وعادات وتقاليد لا حصر لها .

وها انا احاول ذكر جانب من العادات والتقاليد والاوضاع الشعبية لسكان اربيل قبل حوالي اربعين سنة كخطوة اولية في طريق جمع وبحث التراث الشعبي في المدينة .

(١) – احياء اربيل :

أ – قلعة اربيل : تعتبر قلعة اربيل اهم معالم المدينة الاثرية والتاريخية . وكانت لفترة طويلة من الزمن مركز الحياة الاجتماعية والسياسية للمدينة . وتتكون القلعة من طبقات سكنى متعددة ومتعاقبة ، فهي تقوم على تل اثري اقدم عهداً . وكانت القلعة او المدينة قائمة من العهد السومري (في نحو ٢٠٠٠ ق .م) وظلت فيها الحياة مستمرة بعد ذلك الى يومنا هذا .

وتتكون القلعة من ثلاثة احياء او محلات هي : (السراي) و (التكية) و (الطوبخانة) . ومحلة السراي هي الجزء الشرقي من التل ، وعدد من بيوتها كان قائماً على البدن (حافة التل) ويعود الى اثرياء المدينة ، ولذلك كان هذا الجزء من المحلة يسمى بـ (زقاق الاغوات) . وسميت المحلة بهذا الاسم (السراي) لوجود سراي الحكومة فوق البوابة الجنوبية للقلعة . وتوازي هذه المحلة محلة التكية ، ويكاد يكون مسجد ابي بكر افندي (ملا افندي) او الجامع الكبير هو الحد الفاصل بين محلة السراي الواقعة في الشرق وبين محلة التكية في الوسط . وسميت المحلة بالتكية نسبة

الى تكية قديمة كانت تعود الى اسرة آل المؤذن بالقلعة وهي مندرسة لا اثر لها ، اما محلة الطوبخانة وهي الجزء الغربي من القلعة ، وسميت بهذا الاسم لوجود مكامن للمدافع فيها من العهد العثماني . وعلى العموم فان البيوت القائمة على حافة التل في جميع الجهات تعود الى اثرياء المدينة . وابرز معالم القلعة : الجامع الكبير وتكية خان احمد (تكية الشيخ شريف) وحمام القلعة ، والسراي ، وكنيسة اليهود (المندرسة الآن) وتكية الحاج ملا خضر ، وديواخانات الاثرياء وخزان الماء ، ومزارات لبعض الاولياء والصالحين .

ب – محلة خانقاه : وكانت تسمى : گومەپیس (البركة الآسنة) وسميت بالاسم الاخير لتجمع مياه الامطار والسيول فيها في فصل الشتاء لانخفاض مستواها . وفي حدود سنة ١٩٣٤ انحدرت السيول اليها وملأت ازقتها مما اضطر كثيرا من سكانها الى النزوح المؤقت عنها . وكان بقاء المياه الآسنة لفترة من الزمن بعد انقطاع المطر سبباً في انتشار بعض الامراض مثل الملاريا .

اما اسم خانقاه فنسبة الى خانقاه مولانا خالد التي لازالت قائمة ، وقد بنيت في سنة ١٢٣٠ هـ حين ورد مولانا خالد الى اربيل ، وجرت عليها ترميمات واضافات في سنة ١٩٥٢ ثم جددت عمارتها في سنة ١٩٦١ م . وتقع المحلة تحت القلعة الى الجهة الجنوبية الشرقية منها .

جـ – محلة تعجيل : وتقع الى الجنوب الغربي من القلعه اي الى الجنوب من محلة العرب . اي انها تقع بين محلة العرب ومحلة سعدوناوة . وتنقسم محلة تعجيل الى قسمين : تعجيل اسلام وهو الجزء المجاور لمسجد وضريح الشيخ محمد چولى . والقسم الثاني يسمى تعجيل اليهود ، وكان يقيم به يهود اربيل قبل تهجيرهم اي قبل سنة ١٩٥١ م . وكان لهم في هذا الجزء كنيسة ومدرسة .

د – محلة العرب : وتقع تحت القلعة ، الى الجهة الجنوبية الغربية منها ، وقامت هذه المحلة قبل قرن او يزيد حين سكنها بعض الاعراب من اصحاب الجمال ، وكانوا يتولون نقل البضائع من المدن العراقية وسورية الى اربيل ، ثم تقفل قوافلهم حاملة منتوجات اربيل من الصوف والجلود والعفص وغيرها الى تلك الجهات . وكان بعض اثرياء اربيل من التجار يملكون اعداداً من الجمال تستخدم لنقل البضائع ويتولى قيادتها والعناية بها هؤلاء الاعراب . ومن ابرز معالم هذه المحلة تكية الشيخ صالح البرزنجي ومسجد ديره‌بروشه وضريح النبي عزير (ع) .

هـ – سعدوناوة : وسميت بهذا الاسم نسبة الى رجل اسمه سعدون ولعله كان قروياً سكن فيها اول مرة حين عمر له فيها مسكناً لاسرته . وهناك مزار قائم في المحلة بأسم (امام سعدون) ، ويدل هذا على ان سعدون كان رجلاً صالحاً فنسبت المحلة اليه ، ولكن لا مجال للتحقق من صحة المزار . وابرز من سكن هذه المحلة (الگوره‌جية – الفخارون والكوازون وصناع الآجر) والمحلة تشرف على وادي اربيل الجنوبي (البست) ، وكانت تجاور (گلكند) مقلع التراب القديم الذي تحول الآن الى حديقة عامة .

و – محلة طيراوة او ابن المستوفي : وسميت المحلة بطيراوة بسبب أن معظم اراضيها كانت ملكاً لشخص اسمه طاهر اغا وهو من اهالي اربيل . اما ابن المستوفي فهو المؤرخ الاربيلي الشهير وقد شغل الاستيفاء والوزارة لمظفر الدين كوكبرى (٥٨٦–٦٣٠ هـ) . توفى ابن المستوفي في الموصل سنة ٦٣٧ هـ وهو مؤلف (تاريخ اربل) في اربعة مجلدات . وتقع محلة طيراوة تحت القلعة الى الجهة الشمالية منها .

كانت تلك المحلات القديمة في اربيل ، ومن ثم ظهرت محلات : (سيطاقان) و (سيداوة) و (كوران) سميت بهذا الاسم نسبة الى معامل الآجر الاهلية التي كانت فيها ، و(ئازادي) و (اسكان) و (منتكاوة) و (شورش) و (بسته‌پيازه) و (روناكي) و (زانياري) و (كاني) و(بلاشاوه) و (كوران عينكاوة) و (حي صدام) و (حي العدل) و (حي الاطباء والمهندسين) . . وكل هذه المحلات تقع في السهل .

**(٢) – تنازع الاحياء او المحا :**

كانت المحلات القديمة في اربيل تتنافس فيما بينها ، فكان سكان القلعة مثلاً يعتبرون انفسهم السكان الاصليين في

المدينة ، وكانت تقع في بعض السنوات بعض المناوشات بين اهل القلعة واهل خانقاه او طيراوة تستعمل فيها المحجال والاحجار والعصي فضلاً عن الشتائم . وكانت القلعة تتغلب على منافساتها او بالعكس . وتحذو المحلات الاخرى في السهل او سفح القلعة حذوهم . وكانت تقع احياناً اصابات بين المتنازعين تؤدي الى وقوع بعض الوفيات ، ولذلك كانت الشرطة تضطر للتدخل لفضها ولوقف هذه المناوشات . وقد زالت هذه العادة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . ويبدو ان هذه العادة المضرة بقية من عادات الغزو القديمة او تقليد قديم ورثه اهل المدينة ، لكثرة ما تعرضت له القلعة من حصار عبر تاريخها ، واستبسال اهلها في الدفاع عنها .

**(٣) – الحياة الاجتماعية :**

أ – العوائل : كانت الاسر او العائلات في اربيل في غاية التمسك بما ورثت من اسلافها من عادات وتقاليد . فكان الاب (رب الاسرة) هو رئيس العائلة ومعيلها ومدبرها . وكلمته كانت مسموعة ، وما كان بامكان الابناء مناقشته او مخالفته ، بل ان طاعته كانت واجبة . وبمعنى آخر ان الاب كان الآمر والناهي . اما الام او الزوجة فلم تكن تستطيع مناقشة زوجها ولو كانت مصيبة في آرائها .

وكان الرجال يذهبون الى المقاهي بعد صلاة العصر او بعد اغلاق محلاتهم وانهاء اعمالهم اليومية ، وكانت المقاهي مقصورة على الرجال دون الابناء ، حيث ان الابناء لم يكن في مقدورهم الذهاب الى المقاهي او الديوان (المجالس) الى ان يبلغوا سن الرجال وتنبت لحاهم وشواربهم .

اما البنت في الاسرة فكانت اشبه بالبلبل في القفص ، فكانت لا يمكنها ابداء رأيها في اي موضوع ، ولم يكن تستشار في زواجها واختيار شريكة حياتها ، انما الاب او ولي الامر كان له القرار الحاسم .

ب – التزاور بين الاسر :

كانت الاسر وحدات اجتماعية متماسكة تتكاتف ابناؤها لخير ومصلحة الجميع وتتشاطر فيما بينها الاحزان والافراح والتبعات . وكانت الاسر تتبادل الزيارات في اكثر الاحيان تأكيداً لصلة الرحم التي شرعها الاسلام ، وكانت تهب لمساعدة الاقارب والجيران عند الحاجة وعند حدود الامكان .

وكانت الاسر في زياراتها المتبادلة تقضي معظم ليالي الشتاء في تجاذب اطراف الحديث وخاصة ما يتعلق بالامور المعاشية والكسب والعمل وتربية الاولاد . وكان المضيف يهيئ لضيفه الزبيب والجوز واللوز والشاي والحلوى او ما يتوفر منها . وكانت هذه الزيارات تخفف من عناء العمل في النهار وتنسي الهموم . ولم تكن العلاقات الاجتماعية القوية مبنية على اسس مادية او مصلحية ، اذ ان الناس لم يكن يحاولون جمع المال بشتى الطرق بل كانت القناعة متوفرة وصلة الرحم قوية وروح التعاون والتضامن سائدة .

وكانت الجلسات العائلية الليلية تلك تنفض وتنتهي بعد ان يكون افرادها قد امضوا شطراً غير قليل من الليل بالمسامرة والاحاديث المفيدة .

جـ – الزواج :

كان الزواج في اربيل زواجاً اعمى ، فالشاب لا يرى الشابة او عروسه قبل الزواج . فالوصيفة كانت تصف البنت التي ينوي الزواج منها ، حسب رغبتها فكأنها هي التي تتزوج . وكان الشاب لا يرى زوجته او عروسته الا في ليلة الدخلة . فالزواج كان وكما قيل (قسمة ونصيب) فاما تكون العروسة جميلة كالقمر او قبيحة كالقرد . ولم يكن للحب اي دور في الزواج اللهم الا اذا تكون هذا الحب وترعرع بعد الزواج نتيجة للمشاركة في العيش والمعاشرة الزوجية . ومن هنا اصبح المهر المؤجل عالياً باهظا ، وكان هذا يؤدي الى ظهور المشاكل بين الزوجين وربما منذ الليلة الاولى . . . ؟ وكانت لام الزوج واخواته جولات وصولات (مماحكات ومنازعات) مع زوجة الابن .

ومن الامور السلبية المرافقة للزواج في اربيل ، ان الابن المتزوج كان يقيم مع زوجته في بيت والده ، ولربما في غرفة

واحدة ، بسبب صغر البيوت القديمة وضيق يد اصحابها ، وكان ذلك مدعاة لحدوث المشاجرات والمناوشات بين الحماة وزوجة الابن ، وكان يحدث ايضاً ان يقيم اكثر من ابن متزوج في بيت الوالد .

وفي اليوم السابع للزواج كان يقام تجمع في بيت العريس حيث يتوافد اليه اقارب الزوجة والزوج جالبين الهدايا على شكل مصوغات ذهبية او مبالغ نقدية . وكانت هذه الهدايا تبقى ديناً على ذمة الزوج . وربما طلب منه ردها لاصحابها وهو في أسوأ الظروف المعاشية ، فكانت تحدث في مثل هذه الحالات المشاكل العائلية . كانت هذه عادة سيئة وان كانت قد وضعت بالاصل لمساعدة الزوج والتخفيف من اعباء الزواج . ومهما يكن فان هذه المساعدة لم تكن عملية ناجحة على العموم .

(٤) – النساء في اربيل :

المرأة في كل زمان ومكان تكون النصف الثاني من المجتمع الانساني ، والذي يهمنا هو بيان وضع المرأة في اربيل – قبل حوالي اربعين سنة – فكانت اغلب النساء فيها اميات جاهلات يعشن في عالم ضيق محدود ، وتحت طائلة العادات والتقاليد الصارمة البالية . وكانت المرأة اشبه بمتاع او حاجة من الحاجيات المنزلية ، فهي كانت قابعة في عقر دارها لا تستطيع الخروج منها الا بأذن مسبق والى اماكن محدودة . ولم تكن المرأة اكثر من منجبة للاطفال ، والويل لها اذا كانت تنجب البنات دون الاولاد . وكانت تقوم بجميع اعمال البيت من طبخ وكنس وغسل وتربية للاطفال دون ان يكون لها حقوق واضحة .

ومن مثل هذا الوسط المحافظ كانت المرأة نفسها تتمسك بالعادات والتقاليد المعروفة وحين كانت تنجب البنات كانت تفكر في زواجهن مسبقاً وتقوم باعداد (الجهاز) لابنتها التي ستتزوج في المستقبل . وكان الجهاز يتكون من الاغطية الصوفية مثل (جاجم – غطاء صوفي يصنع محلياً في قرية عينكاوة غالباً) والقطنية مثل (دوگرد : وكان يصنع في عينكاوة ايضاً) والغطاء القطني المغلف بقماش من الحرير (اللحاف) . ومن مكونات الجهاز ايضاً انواع مختلفة من الملابس (كانت ملابس المرأة الاربيلية هي نفس الملابس النسوية الكردية في ايامنا هذه) . وكانت العروس تجهز بلوازم المطبخ مثل : (قيمة كيش) اي خشبة ثرم اللحوم وتقطيعها ، وانواع من القدور والمواعين النحاسية والزجاجية واقداح الشاي . وكذلك المواد الغذائية والمؤونة والسكر والشاي والصابون والشخاط ولوازم الحمام . اي ان الام كانت تحرص ان تضمن معيشة ابنتها وما تحتاج اليها خلال سنة على الاقل وهي في بيت الزوجية دون حاجة لشراء اي شيء من السوق .

وكانت تهيئة كل هذه الحاجيات واللوازم تتطلب من الام مالاً وجهداً كبيراً فعلى سبيل المثال : كانت الام تغزل الصوف بعد غسله ثم تصبغه وتنسجه ، وهكذا بالنسبة لبقية الاغطية الصوفية والقطنية . وكانت الام الذكية تقوم بجمع الاغطية المذكورة وغيرها من ذهب وفضة وتحف ثمينة قبل فترة من زواجها اي قبل اعلان زواجها .

وقبل ان تزف العروس بمدة يوم او يومين ، كانت الام تدعو القريبات (وقريبات الزوج ايضاً) ونساء المحلة لرؤية الجهاز ومكوناته حاجة حاجة . وكانت غالباً تنال ثناء المدعوات لما اعدت لابنتها من جهاز لائق . وكن يثنين عليها بقولهن : عاشت اياديك ايتها الام . وبعد اتمام الزواج وقبل اليوم السابع كانت ام العروس ترسل الى ام الزوج (العريس) عدة صينيات من البقلاوة والحلويات الاخرى ليفرقها اهل الزوج على الاقارب والاصدقاء وكان هذا ايذاناً بدعوتهم الى حفلة اليوم السابع .

ويتلو هذا دعوة اهل الزوجة للزوج واهله الى حفل غداء (وليمة) او (دعوة) في بيت والد الزوجة . وكان الزوج (العريس) يرد على ذلك بدعوة والد واهل زوجته الى حفل مماثل يقام في بيته . وربما اقيمت ولائم اخرى بين الطرفين يقيمها افراد من الاسرتين .

٥ – الحجاب :

كانت المرأة في اربيل تتحجب حين تخرج من بيتها . فكانت

تلبس حجاباً فضفاضاً (شرشف) يغطيها من قمة الرأس الى اخمص القدمين ، وهذا الحجاب غير العباءة السوداء المعروفة الآن . وكانت تستر وجهها ببرقع يسمى (پيچه) وهو نقاب يحاك من شعر اذناب الخيل كالمنخل ، او يكون منسوجاً من الحرير الاسود المخرم . مستطيل الشكل وشفاف ويناسب جبهة المرأة التي ترتديه ، يشد طرفاه من جهة واحدة ويوضع ذلك الطرف على الرأس بينما يتدلى القسم الآخر ليغطي الوجه ويكون رقيقاً كما قلنا ، ويمكن للمرأة ان ترى الآخرين من خلاله .

ولم تكن تجد امرأة سافرة في اربيل الا نادراً ، وعند القرويات . وكانت المرأة تحتذي بحذاء او جزمة طويلة مصنوعة من الجلد (اشبه بالبوت) الاصفر او الاحمر ، وكانت تجلب من حلب غالباً . ويروى انه في العهد العثماني كان احتجاب المرأة كلياً حتى قيل انها كانت لا تخرج من بيتها الا في مناسبتين مرة حين تتزوج وتنتقل الى بين زوجها واخرى حين تموت وتشيع الى مثواها الاخير . اما في الفترة التي نبحث عنها فكانت المرأة تخرج في السنة مرات معلومة ، فكانت تخرج لزيارة اهلها ولزيارة القبور وقبور الاولياء خاصة او تذهب الى المستوصف وهي ترافق طفلها المريض وتذهب الى حمام عام او الى حفلات الزواج وما اشبه .

**(٦) – معتقدات النساء :**

كانت النساء كما ذكرنا اميات ساذجات غالبا ،ولذلك كان افق تفكيرهن محدوداً ضيقاً وتجاربهن محدودة ايضاً يملن الى الخرافات والسحر والشعوذة ، وفتح الفأل وبحجاب المحبة وكن يزرن قبور الاولياء الصالحين مثل قبر الشيخ محمد الخراساني وضريح الشيخ محمد النقشبندي والشيخ عبد الله المدار (شيخ الله) والست : الشريفة الاربيلية والامام محمد ويقدمن النذور والقرابين لشفاء من مرض او لتحقيق رغبة او نيل مأرب ، وكذلك كن يستعن بالمشايخ والسادات واصحاب الزوايا لصنع الحجاب وقراءة ادعية الشفاء في حالة مرض احد اطفالهن ، وكانت المرأة مؤمنة تصلي الصلوات الخمس وتصوم رمضان عفيفة طاهرة الذيل والى ما قبل حوالي اربعين سنة لم يكن بين البنات من المتعلمات في المدارس الا عدد قليل وكان حظ الاولاد من التعليم اكبر سواء في الكتاتيب (مدارس الملالي) او في المدارس الابتدائية والثانونية .

**(٧) – ملابس المرأة :**

كانت المرأة الاربيلية تلبس الملابس الكردية المعتادة في الوقت الحاضر مع اختلاف طفيف . وزي المرأة كان يتكون من فستان طويل فضفاض طويل الاكمام يلفها (الاكمام) حول زنديها . وكان يصنع من مختلف الاقمشة الحريرية والقطنية الملونة . وتلبس المرأة فوق هذا الفستان (زخمة) وهو لباس بدون اردان اشبه بـ (اليلك) ويزرر بواسطة دكم . ثم تلبس زبوناً ويكون الزبون مفتوحاً من الاعلى الى القدمين ويكون كامل الاردان . وتلبس الثريات من النساء سلطة (الصديري) وهي اشبه بسترة قصيرة ذات اكمام موشاة بخيوط فضية او ذهبية ، وتكون السلطة مفتوحة الجانبين وتسمى الفتحتان الجاكات ويكون جانباها متقاربين عند الصدر . وكانت السلطة ذات الوان سوداء او حمراء مجلوبة من الشام وحلب غالباً . وكانت المرأة تتمنطق بنطاق او حزام خاص من القماش ولزيادة التوضيح نقول ان الفستان النسائي (كراس) كان يصنع من الكتان ومن حرير يسمى (قناوز) ومن حرير خاص يسمى (كتان چين) مورد بالاحمر والاخضر على ارضية ملونة مختلفة الالوان .

ومن اهم انواع زبون النساء :

١ – پوللى طقه : قماشه من الحرير ذو نقوش على شكل اقراص مذهبة او لوزية الشكل مذهبة ايضاً .

٢ – باباني : قماشة من حرير مقلم بخطوط حمراء او صفراء .

٣ – كوجرات : ويبدو ان اصله من الهند مثل الزخمة قماشه من حرير. ارضيةالزبون المصنوع منه حمراء وموردة او مبصومة بورود صفراء او حمراء او خضراء .

**(٨) – اعمال المرأة :**

كانت المرأة في البيت تقوم بجميع اعماله من تربية الاولاد

ورعايتهم وكنس البيت وتنظيفه وغسل الملابس واعداد الخبز . وكانت تقوم مع الفجر لتخبز فتعجن الطحين وتخلط مع العجين (حاونج – حبات سوداء ذات نكهة طيبة) ثم تقسم الطحين المعجون الى (چوندات) او كرات ، وتبسط كل كرة عجين بشكل قرص على (فرشة) مصنوعة من الخشب او الجص دائرية الشكل ، وبعد عمل كل قرص من الخبز تضعه على (ساج) وهكذا الى ان ينتهي العجين وهذا النوع من الخبز يسمى بالرقاق . ويكون عدد الخبز المصنوع بهذا الشكل عادة بضع عشرات ، توضع في خزان اسطواني الشكل مصنوع على هيئة تنور من الطين يسمى (ناندن) . وكانت الحنطة او الحبوب الاخرى تحفظ في أوانٍ او خزانات مكعبة الشكل مصنوعة من الطين ايضاً تسمى (چاندى) (كەندو) . اما الدهن والدبس والطرشي واللحم المقدد (باصمة) والمقلى (قاورمة) فكانت تحفظ في جرار مطلية بالاخضر . وكانت المؤونة احياناً تحفظ في قراب جلدية ايضاً وفي نوع خاص من القرع المجفف والمفرغ الجوف .

**(٩) – تربية الاولاد :**

كانت الام هي المعول عليها في تربية الاولاد والبنات . ولم يكن الآباء والامهات يجبذون ارسال اطفالهم الى المدارس ، بل كانوا يرسلونهم الى الجوامع والمساجد لتعلم القراءة (قراءة القرآن الكريم) وبعض كتب الدين والعقيدة الاسلامية . وقد يستمر بعض طلبة العلوم الدينية في الدراسة فينال الاجازة العلمية ويصبح رجل دين او علم يشار اليه بالبنان . ولقلة الكتب الدينية المطبوعة كان الطلبة يتبادلون الكتب فيما بينهم .

وكان الطلبة يتعلمون الخط بالتدريب والتمرين (مشق) وتجليد الكتب وتذهيبها وكان كل طالب علم (فقي – فقيه) يتلقى العون والمساعدة من الاغنياء وغير الاغنياء من طعام وكسوة وكتب .

وكان اشهر مدرسي اربيل للعلوم الدينية ملا افندي (ابو بكر بن الحاج عمر افندي) مدرس الجامع الكبير بالقلعة . وكان اشهر من نار على علم في الاوساط الدينية والعلمية والاجتماعية في منطقة كردستان بأسرها . وكان ينفق على طلبته وبعد تخرجهم يرسلهم ائمة وخطباء الى قراه . توفي بأربيل في ٣١ كانون الاول ١٩٤٢ .

ومن المدرسين المشهورين ايضاً الشيخ مصطفى بن الشيخ ابي بكر النقشبندي ، وكان الى جانب كونه مرشداً في الطريقة مدرساً وقد اجاز طلبة عديدين ، وتوفي في سنة ١٩٨٦ م . ومن المدرسين ايضاً الملا عبد الله البيتواتي امام ومدرس مسجد عبد القادر الدباغ بأربيل والملاعبدالله الديرة بروشي والملا ابراهيم الدوغرەمەجي وغيرهم من العلماء الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين والعلم دون اجر او مقابل .

**(١٠) – الختان او الطهور :**

الختان سنة نبوية وعادة صحية مقبولة ، فكانت العوائل تقوم باقامة حفل في ختان اولادها بعد بلوغهم السابعة من عمرهم او قبل ذلك احياناً . وكانت اسرة المختون تعد العدة لهذه المناسبة السارة . فكانت تعد الاطعمة وتقيم المنقبة النبوية قبل عملية الختان . وفي يوم الختان كان الاولاد يلبسون ملابس زاهية او بيضاء ويفرش لهم افرشة وثيرة وتفرق الحلوى والاطعمة على الحضور والجيران ، وكانت عملية الختان يقوم بها الحلاقون او السادة القادمون من مدينة (سعرت) في موسم الربيع . ومن الحلاقين المذكورين (وهاب كور) سمي بذلك لعور احدى عينيه والحاج ابراهيم وغيرهما . ولم تكن عادة الختان في المستشفى منتشرة بعد . ويدعى الى حفل الختان الاقارب والاصدقاء والجيران الذين يجلبون معهم هدايا تتكون من مبالغ نقدية او مصوغات ذهبية (مثل الاساور) واشياء اخرى . وكانوا ايضاً يكافئون الحلاق ايضاً بهداياهم . وكان الحلاق يعالج الطفل المختون برماد النار ثم كان يزوره اكثر من مرة لتضميده .

**(١١) – الاعياد :**

جرت العادة على الاهتمام البالغ بعيدي الفطر والاضحى وعيد المولد النبوي الشريف ، حيث كان الناس يلبسون احسن ما

عندهم من ملابس واجملها . وبعد اداء الصلاة (صلاة العيد في المساجد الكبرى) يعود الرجال الى بيوتهم لتناول طعام العيد الذي كان يعد صباحاً بدل الفطور في اول ايام العيد . وكان هذا الطعام يتكون من التمن (الرز) وعليه اللوز والكشمش ولحم الدجاج او الديك الرومي . اما المرق (الحساء – الشوربة) فكان على نوعين اما بامية او باذنجان او مما يتوفر في ذلك الفصل مما يماثلها ، او حساء القيسي (المشمش المجفف) وكان هذا هو المفضل لدى الناس والذي يميز طعام العيد .

وكانت الاسر تتزاور بعد تناول الفطور (فطور العيد) ، فالكبير كان يتفقد اقاربه ويكرم صغارهم بالعيدية (النقود) وكذلك النساء كن يتزاورن . اما الاطفال فكانوا يذهبون الى محلات مخصوصة في ميادين واسعة حيث يقضون اوقاتاً جميلة بركوب (الچرخ والفلك) والمراجيح الخشبية . وكان الفتيان يستأجرون الحمير للذهاب الى قرية باداوة الواقعة في ضاحية اربيل . في حين كان الاطفال الصغار يركبون زرافات العربات الخشبية التي تجرها الخيول او يركبون سيارات النقل الكبيرة (اللوريات) للذهاب الى (الشيخ گزنه) الواقعة في اعالي قرية عينكاوة التي تقع في شمالي اربيل . اما الشباب فكانوا يسافرون في اغلب الاحيان الى الموصل او كركوك والمدن الاخرى .

**(١٢) – ملابس الرجال :**

كان الرجال عادة يلبسون الملابس الكردية المعروفة (كورتەك وشروال) . وكان الـ (كورتەك) الذي هو اشبه بالسترة على انواع هي :

١ – مراد خاني . ٢ – ستار خاني . ٣ – مامشي .

ويلبسون ايضاً الزبون : وهو ثوب مفتوح من الامام وطويل الاردان وهو يبطن بقماش يختلف عن لونه . يلف الزبون على الجسم ويشد عليه الحزام . ويلبس الزبون فوق الزخمة وهي عبارة عن قميص قصير (اشبه باليلك) مفتوح الصدر ازراره من خيوط الحرير بلون الزخمة وتكون متقاربة . وتزرر الزخمة في نهاية الرقبة وهي بلون الزبون الذي يلبس فوقها .

وكان زبون الرجال يفصل من قماش الطقة (التقة) وهو قماش حريري مستورد من حلب ، او من قماش (بيلدار) وهو قماش حلبي ايضاً من الحرير المقلم المورد ، او (مصرية) وهي قماش مقلم لماع من الحرير .

ويلبس فوق الزبون (سلطة) وهي اشبه بالسترة ذات اردان طويلة مفتوحة من الامام بدون ازرار ، وتحلى بوحدات زخرفية جميلة او بخيوط خاصة تسمى بـ (قيطان) وخاصة على الحواشي والاردان (الاكمام) .

وكان بعض الرجال يلبسون فوق الزبون بالطو او قبوط اشبه بالجبة ولكنه اقصر منها ومن الزبون . وكان يفصل من قماش سميك يسمى (الشال) وهو من الصوف ، وله ردنان طويلان عريضان ، مفتوح من الامام ويكون غير مزرر بلا (دكم) . وكان القماش الذي يصنع منه هذا الزي ذا ارضية بنية موردة بأشكال لوزية .

اما لباس الرأس الشائع فكان (المشكى) الشبيه بالعمامة ، وهو قماش من الحرير مربع الشكل . ضلعه اكثر من متر وهو اسود اللون او احمر . عليه نقشات وحواشيه ذات شراشيب . وكان البعض يتعمم بلباس رأس آخر يسمى (جمداني) الچراوية) وهو زي يلف فيه القماش الذي هو من نسيج القطن على نفسه حول العرقچين بلفات مختلفة .

وكان قليل من الناس يتعممون بالكشيدة وكشيدة تعنى منقوشة ، وهي عبارة عن طربوش احمر يعمم بقماش الشعري طوله ذراع اوذراعين وعرضه ذراع يطرز بالحرير الاصفر على شكل معين تحرز بالدبابيس بعد لفه دائرياً وبنسق بديع حول الطربوش الاحمر لكي يتماسك القماش عليه ، وكانوا يسمون لابس الكشيدة الحجي والجلبي .

وفي ايامنا هذه يلبس الكشيدة الحجاج من دون الطربوش ، حيث تلف حول العرقچين .

**(١٣) – زيارة المزارات والاضرحة :**

كان الكثير من العوائل يزور المزارات والاضرحة والقبور

الموجودة في المدينة بما فيها القلعة او في خارجها . فكان الناس يقصدون قرية (گزنه) الواقعة في شمالي اربيل بمسافة قصيرة وفيها قبر منسوب للشيخ گزنه . ولا يعرف الاسم الحقيقي للشيخ المذكور . وكذلك يزورون ضريح الشيخ جامي في قرية جامي الواقعة في سهل اربيل الجنوبي ، ويقصدون ايضاً ينبوع ماء موصوف بأنه دواء يعرف بـ (درمان آوا) ويقع في منحدرات جبل پيرمام الغربية . ويزورون كذلك الضريح المنسوب الى السلطان عبد الله الواقع على تل مرتفع في نهاية سهل قراج عند التقاء الزاب الكبير بدجلة عند مدينة الحديثة (حديثة الموصل) المندثرة . وينسب القبر الى اولاد عمر بن الخطاب (ر) . كل هذه الزيارات كانت تتم في الربيع والصيف غالباً ، وبقصد التبرك والدعاء ، ويحمل الزوار النذور ، وبعد قضاء يوم او يومين يعودون الى بيوتهم منشرحي الصدور ويفيضون اطمئناناً بعد ان نفضوا عن كاهلهم بعض عناء السنة .

**(١٤) – شهر رمضان المبارك :**

كان لهذا الشهر المبارك ولايزال هيبة وقدسية ووقار فهو الشهر الذي انزل فيه القرآن الكريم . وكانت الكثرة الكاثرة من الناس يؤدون فريضة الصيام رجالاً ونساءً . وبعد الافطار يقصد الرجال المساجد لاداء صلاة العشاء والتراويح وقراءة القرآن والادعية والمناقب النبوية . وكانت ليالي رمضان اشبه بالنهار ، فالناس كانوا في حركة مستمرة بعد الافطار فالمساجد غاصة بالمصلين والمدينة مزدانة باضوائها والمقاهي والشوارع تغص بالناس والباعة المتجولين الذين يكثرون في هذا الشهر . وكانت لعبة الصينية المشهورة تقام في المقاهي الى السحور واحياناً حتى الفجر ، وكانت تتكون فرق للعب الصينية تسافر الى كركوك والموصل لمسابقة فرقها .

وكان الناس يزيدون من نفقاتهم اليومية ويعدون للافطار اطعمة شهية متنوعة وفواكه لذيذة ويتفننون في طبخ وطهي المأكولات وتهيئة الحلويات والمشهيات باختلاف انواعها . وعلى صوت مدفع الافطار يفطر الناس . وكان هذا المدفع الذي يحتى بالبارود من المدافع القديمة التي تعود الى ايام محمد باشا رواندوزي وهو منصوب خلف مقبرة شيخ الله ويطلقه العم فتاح مرتين كل يوم ، مرة عند اذان المغرب واخرى عند الامساك .

وبعد اداء صلاة العشاء والتراويح يعود الرجال الى بيوتهم ويخلدون الى النوم ليستيقظوا من جديد في السحور على صوت الطبل . وكان الطبال يتجول مطبلاً بين ازقة القلعة لايقاظ الناس للسحور ، ثم يقف في باب الاحمدية (الباب الشمالي) لايقاظ الناس الساكنين في طيراوة والباب الصغير (الشرقي) بالنسبة لمحلة خانقاه . وبعد انتهاء الشهر كان الطبال يتجول ويقف عند كل باب لتسلم العيدية .

على صوت الطبل ينهض جميع اهل الدور وتقوم النسوة باعداد الطعام ، وبعد تناول طعام السحور واداء فريضة صلاة الصبح تخلد المدينة الى السكون والاخلاد الى النوم .

**(١٥) – طقوس اخرى :**

كان لكل شهر من اشهر السنة القمرية طقوسه الخاصة به ، فمثلاً في شهر صفر كان الناس يكسرون اناء من الفخار او آنية من الزجاج لدفع البلاء ، وفي شهر محرم الحرام كانوا يلبسون الاسود وخاصة الاطفال ، ويفرقون في نهاية العشرة الاولى من الشهر (هريسة) تطبخ من (الحبية) ويوضع فيها الجوز واللوز والزبيب والحمص . . على الفقراء والمعوزين والجيران مكرسة لسيد الشهداء الحسين (ر) ، ومن طقوس الناس ايضاً ان بعض سكان القلعة كانوا يقصدون بيتاً مطلاً على السفح قرب باب (الاحمدية) يعود لشخص اسمه الحاج ولي . وفي هذا البيت غرفة مستطيلة الشكل واسعة تضم مقابر عديدة كبيرة وصغيرة يقال لها (قرقلر – الاربعون) ولعل القبور تمثل الابدال (الاقطاب عند الصوفية) فيشعل الزوار بعض الفتائل ثم يرمونها من شباك الحجرة القائمة على بدن القلعة (الحافة) حتى يحقق مرادهم ثم يوفون بنذورهم .

**(١٦) – النذور :**

ومن جملة الطقوس ايضاً النذور التي تقدمها النسوة ، وقد

اشرنا بايجاز اليها ، ونضيف هنا أن النذور كانت تنذر في سبيل الشفاء من مرض او لتحقيق امنية او نيل مأرب . فكانت النساء يعمدن الى نذر مواد عينية او نقدية او مأكولات الى اي مزار من المزارات ، وقد تفرق النذور في المزار او في البيوت ، وقد تكون قليلة الثمن او باهضة الثمن . وفي كل الاحوال يلتزمن التزاماً مطلقاً بتقديم ما كن قد نذرن به . وكانت في اربيل عدة نذور ولايزال عدد منها موجودا الى يومنا هذا .

ومن النذور التي كانت معروفة : (القرابين) و(الحلوى) في اسبوع خضر الياس – الاسبوع الاخير من الشتاء بالتقويم المحلي و (الهريسة) في اليوم العاشر من محرم و(خبز الامام عباس) وهو نوع خاص من الخبز و(الصوم) و(الاستجداء) و (السبيل) الماء والشربت والشاي . . . وكان لكل مزار نذره الخاص .

**(١٧) – مراسيم الدفن :**

حين يتوفى رجل يشيع الى مثواه الاخير . فبعد الصلاة عليه في احد المساجد يسير وراء نعشه الاقرباء والجيران والاصدقاء مشياً على الاقدام الى المقبرة للحده ودفنه ويستنزلون عليه بعد الدفن شآبيب الرحمة والغفران ويبرؤن ذمته ويعقد اقرباء المتوفي من الرجال مجلس الفاتحة في بيت احدهم لمدة ثلاثة ايام يستقبلون خلالها المعزين ، وخلال ذلك كان احد المقرئين يلازم المجلس ويقرأ آيات من القرآن الكريم بين فينة وفينة . وبعد صلاة العصر في اليوم الثالث يقصد الجالسون من مجلس العزاء قبر المتوفي ، وفي الطريق يلتحق بهم الاصدقاء والمعارف وبعض المارة فيقفون عند قبره في حين يجتمع عدد كبير من قراء القرآن ويقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن الكريم ، وخلال نصف ساعة او يزيد يختمون القرآن العزيز ويقال لهذا : (يوم الجزء) بسبب تلاوة وختم اجزاء القرآن ، ثم يطلب الحضور الرحمة والغفران للميت فيقرأ الجميع سورة الفاتحة وتنتهي بذلك مراسيم العزاء بالنسبة للرجال . والجدير بالذكر انه حين كان يتوفى رجل ثري او سيد من السادات كان يشيع بالدف والعلم ، حيث يخرج بعض دراويش احدى التكايا بالدفوف والعلم فيجتمع حولهم اقارب الميت وجيرانه واصدقاؤه .

اما مراسيم العزاء عند النساء فكانت تطول لمدة اسبوع كامل او خمسة ايام ، وكانت تقام في دار المتوفي ، فتحضر النواحة (العدادة – الملاية) التي تسمى سازليان (سادولكاپيژ) فتعدد بنغمة حزينة مناقب الميت ومآثره ومآثر النسوة الحاضرات . ولم يكن يطبخ طعام في بيت المتوفي ، وانما يتولى ذلك – طيلة ايام العزاء – الاصدقاء والاقرباء والجيران . فيأتون بالطعام للرجال في البيوت المقام فيها مجلس العزاء ، وللنساء في دار المتوفي ، لمعرفتهم بانشغال اهل الميت بمصابهم الاليم وبالعزاء .

**(١٨) – دور العبادة :**

كان في اربيل ولايزال عدد كبير من المساجد منتشرة في ربوعها ومحلاتها المختلفة ومنها :

أ – مسجد القلعة او الجامع الكبير : كان هذا المسجد بالاصل – كما يقال – كنيسة للنصارى ثم تحولت الى مسجد . وقد عمر المسجد اكثر من مرة عبر تاريخه . وان آخر تجديد له كان في سنة ١٩٥٨ .

ب – مسجد خانقاه : ويقع تحت القلعة قريباً من بابها الجنوبي ، وكان بالاصل خانقاهاً (زاوية) بنيت في سنة ١٢٣٠ هـ حين ورد اربيل مولانا خالد النقشبندي ، وكان خليفته هداية الله الاربلي قد خلفه فيها ، وعلى عهد هداية الله تأسست فيها مدرسة دينية قام بالتدريس فيها الشيخ هداية الله النقشبندي المذكور .

جـ – مسجد الشيخ محمد النقشبندي المشهور بالشيخ چولى : ويقع الى الغرب من القلعة وكان بالاصل زاوية للشيخ المذكور ، ثم اصبحت مسجداً جامعاً نقام فيه صلاة الجمعة الى جانب الجامع الكبير بالقلعة .

د – مسجد السوق الكبير : ويقع في وسط سوق اربيل الكبير ، ويقوم المسجد على مساحة واسعة من الارض ، ذو مصلى واسع يجاري مسجد الشيخ محمد چولى في الاتساع ، وللمسجد فائدة كبيرة لاهل السوق ..